دلالة
الاستثناء المنقطع بـ(منْ) في القرآن الكريم

The Indication of Interrupted Exception Using the Relative Pronoun "man" in Holy Qur'an

د. حسن محمد معافى علي المهدلي[1]
Dr. Hasan Mohammad Moafa Ali Almahdaly

https://doi.org/10.54582/TSJ.2.2.4

(1) أستاذ النحو والصرف المساعد بقسم اللغة العربية – جامعة إقليم سبأ
عنوان المراسلة : moc.oohay@yladhanasah

مستخلص البحث:

هذه دراسة نحوية موضوعية دلالية، هدفت إلى معرفة دلالة الاستثناء المنقطع بـ(مَنْ) الموصولية في القرآن الكريم، اعتمدتْ على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي للآيات القرآنية موضوع الدراسة.

حيثُ توصَّلتْ هذه الدراسة إلى أنَّ الاستثناء المنقطع هو ما كان المستثنى ليس جزءًا، ولا من جنس المستثنى منه، وتأتي فيه (إلا) بمعنى (لكنْ)، فيفيد الاستدراك، ولا يُفيدُ التخصيص، والمتصل ما كان عكسه. ودلالات استخدام الاستثناء المنقطع بـ(من) في القرآن الكريم، إذ تفيد من الاشتراك و العموم. فجمعتُ كل الآيات التي رَجَحَ فيها أنَّها استثناءات منقطعة، وما كان فيه خلاف لا راجح فيه تُرك، معتمدًا في تعيين ذلك على: إعراب النُّحاة، وأقوال المفسرين، وما دلَّ عليه سياق الآيات الكريمات. فقد ذكرتِ الدراسة أربع عشرة آية قرآنية جاء فيها الاستثناء المنقطع بـ(من) واضحًا جليًا، في توطئة ومبحثين، وخاتمة، مبيّنا دلالة كل استثناء في موضوعه.

وفي أثناء الدراسة ستتضح بعض الأمور عن الاستثناء المنقطع بـ(مَنْ)، من حيث معناه ودلالته الموضوعية والنحوية.

وأوصت الدراسة بجملة من التوصيات من أهمها تبني دراسة بقية دلالات الاستثناء المنقطع بالاسم الموصول وغيره في آيات القرآن الكريم.

وانتهت الدراسة بخاتمة بيَّنَتْ النتائج التي توصلت إليها، مع ثبت المصادر والمراجع.

وحدوده تقتصر على آيات القرآن الكريم التي رَجَحَ فيها الاستثناء المنقطع بـ(مَنْ).

الكلمات المفتاحية: الاستثناء، المنقطع، مَنْ، لكن، العموم.

Abstract

This study aimed at identifying the significance of interrupted exception using the Arabic relative pronoun man "who" in the Holy Qur'an. It used the descriptive analytic inductive approach. The study concluded that the excepted is not a part of the excepted from and it does not have its types in interrupted exception. In interrupted exception, villa "except" means "but" which is used as an adversative and not an specifying. Connected exception is the opposite. The use of interrupted exception with man in Holy Qur'an indicates association and generality. The researcher collected all the verses in which it is likely that they are interrupted exceptions. Disputable verses were left. That was based on grammarians' analyses (I'rab) and interpreters' sayings, and on the indication of the verses' context. The study presented fourteen Quranic verses in which the interrupted exception with man was clearly stated. The study was composed of an introduction, two sections, and a conclusion, where the indication of each exception was put under its topic. The study recommended studying other indications of interrupted exception in the verses of the Holy Qur'an.

.Keywords: exception, interrupted, who, but, generality

المقدمة:

في دراسةٍ موجزةٍ لأحد أساليب النَّحْوِ المهمَّة التي لا يُمْكِنُ الاستغناء عنها أو تجاوزها في لغتنا العربية – أسلوب الاستثناء – وهذا الأسلوب متشعِّبٌ، وأقسامه كثيرة، لكن ستقتصر هذه الدراسة على الاستثناء المنقطع بالاسم الموصول المشترك (منْ)، تعريفًا وأحكامًا ودلائل وفوائد، وفرائد ومعارف، لما له من أهمية في إفادة المعنى، وإظهار المقصود، وبيان سياق النَّص في كلام العرب، فكثير يخطِئ في فهمه، ولا يستطيع معرفة مقصوده، سيَّما في القرآن الكريم.

وقد جعلت الإطار الذي تجري فيه هذه الدراسة هي الآيات القرآنية التي ورد فيها الاستثناء المنقطع بـ(مَن)؛ لنتمكن من استجلاء الدلالات التي تذكرها، واستنباط الإيحاءات التي تحملها، والوظائف الجمالية التي تضفيها على السياق القرآني الشريف. ونتيجة لذلك جاء التقسيم الهيكلي لهذا الدراسة من: توطئة، ومبحثين، وخاتمة.

أسباب اختيار البحث:

سبب اختياري الدراسة في هذا الموضوع يتمثل بالآتي:

- إبراز هذا الموضوع (دلالة الاستثناء المنقطع بمن).
- رغبتي في بيان العلاقة بين علم البلاغة وعلم النحو وعلم الصرف من خلال هذا البحث، وأنَّه لا يستغني أحدهما عن الآخر.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية الدراسة في السؤال الآتي: ما الدلالة الموضوعية للاستثناء المنقطع بـ(من)، وتظهر ملامح هذه الإشكالية في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما دلالة الاستثناء المنقطع بـ(مَنْ)- في القرآن الكريم- الذي صلته على وزن فَعَل؟
- هل هناك دلالة للاستثناء المنقطع بـ(مَنْ) – في القرآن الكريم – الذي صلته على وزن فَعِلَ؟

أهداف البحث:

انطلاقًا من مشكلة الدراسة وأهميتها؛ فإن أهداف هذه الدراسة تتمثل في:

- التفريق بين الاستثناء المنقطع والمتصل.
- معرفة دلالة الاستثناء المنقطع بـ (مَنْ)- في القرآن الكريم- الذي صلته على وزن فَعَل؟
- إظهار دلالة الاستثناء المنقطع بـ (مَنْ) – في القرآن الكريم- الذي صلته على وزن فَعِلَ؟

أهمية البحث:

تكمُن أهمية هذه الدراسة، فيما يأتي:

- الإفادة منه لطلبة العلم المتخصصين في هذا المجال.
- كشف دلالات الاستثناء المنقطع بـ(من) في القرآن الكريم.
- يُعين على التَّأَمُّل والتدبُّر في آيات القرآن الكريم.
- خدمة كتاب الله تعالى.

منهج البحث:

اعتمدتْ هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي للآيات القرآنية موضوع الدراسة.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على بحثٍ مستقلٍ اهتمَّ بدراسة دلالة الاستثناء المنقطع بـ(منْ) في القرآن الكريم.

توطئة:

الاستثناء في اللغة: مُشْتَقّ من الثَّنْي بِمَعْنى الصّرْف وَالْمَنْع، يُقَال: ثنى فلَان عنان فرسه إِذا مَنعه وَصَرفه عَن الْمُضِيّ فِي الصوب الَّذِي يتَوَجَّه إِلَيْهِ، فَسُمي الِاسْتِثْنَاء بِهِ؛ لِأَن الِاسْم الْمُسْتَثْنى مَصْرُوف عَن حكم الْمُسْتَثْنى مِنْهُ.

واصطلاحًا: إخراجٌ بـ(إلا)، أو إحدى أخواتها، تحقيقًا أو تقديرًا. والمراد بالمخرَج تحقيقًا: المتصل، وبالمخرَج تقديرًا: المنقطع[1].

ومن خلال التعريف اللغوي، يتبين المعنى الاصطلاحي، فهو: إخراج ما بعد(إلا) مما قبلها في الحكم، سواءًا كان متصلًا أم منقطعًا.

وحقيقته: تخصيصُ صفةٍ عامة. فكلُّ استثناء تخصيصٌ، وليسَ كلُّ تخصيص استثناءً[2].

(1)) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني (115).

(2)) شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو (374).

جدول يوضّح أوجه الفرق بين الاستثناء المنقطع والمتصل

النوع	التعريف	من حيث المعنى	العامل	بعد النفي	أوجه أخرى
المتصل (3)	جزء من المستثنى منه، أو من جنسه.	يفيد التخصيص بعد التعميم و (إلا) ليس لها معنى آخر.	متجه عليه	المختار النصب على الاستثناء، ويجوز الإتباع على البدلية.	ليس في الْحُكْمُ عَلَى الْمُسْتَثْنَى بنَقِيضِ الْحُكْمِ عَلَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ
المنقطع (4)	ليس جزءًا من المستثنى منه، ولا من جنسه.	يفيد الاستدراك و (إلا) بمعنى (لكن) عند البصريين، و(سوى) عند الكوفيين(5).	غير متجه عليه	وجوب النصب على الاستثناء عند الحجازيين، و بنو تميم يجوزون النصب والإتباع، والراجح عندهم النصب.	الْحُكْمُ عَلَى الْمُسْتَثْنَى بنَقِيضِ الْحُكْمِ عَلَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ.

– حالات الاستثناء:

وللاستثناء سواءً أكان متصلًا أم منقطعًا حالات إعرابية تتمثل في الآتي:

– وجوب نصبِ المستثنى إذا كان الكلام تامًا (وجود المستثنى منه) موجبًا (غير منفي)، كقولك: فاز الطلابُ إلا طالبًا (غيرَ طالبٍ).

– وقوع المستثنى في كلامٍ تامٍ منفي، أو شِبهِ منفي، ويتقدم المستثنى على المستثنى منه: ما جاءَ إلا طالبًا أحدٌ.

جواز الوجهين في المستثنى – في حال كونه منفيًا – وهما النصب على الاستثناء، أو الإتباع على البدلية نحو قوله تعالى: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾[هود:81]، وقُرِئَ (إلا امرأتُكَ)، بالرفع على البدلية.

– وجوب إعراب المستثنى حسب العوامل قبله، وذلك إذا كان الاستثناءُ مُفرَّغًا (إذا كان الكلام منفيًا أو شِبهَ منفيٍ، وحُذِفَ المستثنى منه)، فيتفرَّغُ ما قبلَ (إلا) للعملِ فيما بعدَها، كما لو كانت (إلا) غيرَ

(3)) الغلاييني، جامع الدروس العربية (3/ 821).

(4) سيبويه، الكتاب (2/ 523). القرافي، الاستغناء في الاستثناء، (261).

(5) وقول البصريين اولى؛ حيث أبدل حرف من حرف (إلا بلكن)، وتقدير حرف من حرفٍ أولى من تقدير حرف باسم (إلا بسوى)، وأيضًا إلا بمعنى لكن لتبين المعنى لا الإعراب. انظر القرافي، الاستغناء في الاستثناء، ص463. قلت: وهذا الذي تعامل به النحاة مع الاستثناء المنقطع.

موجودةٍ، قوله تعالى: ﴿وَلا تقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلّا الْحَقَّ﴾ [النساء:171]، فـ(الحقَّ) في الآية مفعول به منصوب، ومنه قولُه سبحانهُ: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35]، فالقوم في الآية فاعل مرفوع، وكقوله تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران:144]، فرسول في الآية: خبر مرفوع.

فائدة الاستثناء المنقطع:

ومن خلال التعريف، وبيان الفرق بين الاستثناء المنقطع والمتصل يتبين أنَّ الاستثناء المنقطع يُساق لمعانٍ، منها: الاستدراك، فهو بمعنى (لكن)، والعموم، ولا يفيد التخصيص، لأنه ليس جزءًا من المستثنى منه.

وقد ورد الاستثناء منقطعًا في القرآن الكريم على صيغة أسماء موصولة، فتارة يأتي اسمًا موصولًا مشتركًا، وأخرى اسمًا موصولًا مختصًا.

وما يهُمُّ البحث في هذه الدراسة دلالة الاستثناء المنقطع بـ (مَنْ) في القرآن الكريم.

فقد قمت بالبحثِ والتَّتَبُّع لآيات الاستثناء فوجدت ذِكر (مَنْ) استثناءً منقطعًا في نحوٍ مِنْ أربع عشرة آية.

فقد ورد الاستثناء المنقطع بها متعدد الدلالات، مختلف الإيحاءات، متنوّع الموضوعات، باختلاف دلالة جملة صلته، والتي غالبًا ما كانت فعلًا ماضيًا، ما بين (فَعَلَ)، كـ (أتى، آمَن، ظَلَمَ، اتَّخَذ)، وأقلَّ منه (فَعِلَ)، كـ: (شَهِدَ، تَوَلَّى، ارْتَضَى)، وفي هذا المقام يجدر بهذه الدراسة أنَّ تبين الدلالات النحوية والبلاغية في المستثنى المنقطع بـ(مَنْ) من خلال ما يظهر في البحث:

تنبيه:

من خلال هذه الدراسة أودُّ أنَّ أنبّهَ على أمرين:

الأول: أنَّ الاستدلال كان بذكر موضع الشاهد في الآية القرآنية، مع ربط ذلك بالسِّياق.

الثاني: أنَّ الاسم الموصول دائمًا له صلة، وهذه الصلة إمَّا جملة فعلية أو إسمية، أو شبه جملة. وفي الاستثناء بـ(مَنْ) حال كونه منقطعًا جملة صلته جملة فعلية، وهذه الأفعال ستبحث دلاليًا، من حيث السِّياق، والتركيب، والعلاقة، والترابط، والمعنى، ودلالة اللفظ منفردًا، وفقًا لسياق الآيات ودلالاتها إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول:

دلالة المستثنى المنقطع بـ (مَنْ) في القرآن الكريم الذي جملة صلته على وزن(فَعَل).

وهذا النوع هو أكثر مادة هذا البحث، حيثُ تصل أفعال جملة صلته إلى ثمانية أفعال، وهي على

الترتيب: (أَمَر، ظُلِمَ، سَرَقَ، اتَّخَذ، شَاء، أَتَى، ظَلَمَ، آمَنَ).

(1-1) قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114].

الفعل (أَمَرَ، على وزن فَعَل):

للنحاة في تقدير الاستثناء في هذه الآية ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ...﴾، قولان:

١- استثناء منقطع -كما يقول النحاس، والعكبري- لأنَّ (مَنْ) لِلْأَشْخَاصِ، وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ النَّاجِي، والتقدير: ولكن منْ أمرَ بصدقةٍ، ففي نجواه الخير[6].

٢- الاستثناء متصل -كما عند أبي البقاء العكبري، وغيره- إما على أنَّ:

- في الكلام حذف مضاف تقديره: إلا نجوى من أمر....؛ فعلى هذا يجوز أنَّ يكون في موضع جرٍ بدلًا من نجواهم، أو يكون في موضع نصب على أصل باب الاستثناء[7].

- النجوى القوم الذين يتناجون؛ ومنه قوله: ﴿وإذ هم نجوى﴾ [الإسراء: 47]، فيكون أيضًا في موضع جَرٍّ أو نصبٍ على ما تقدم[8].

والذي يظهر لي أنَّ الاستثناء في هذه الآية منقطع؛ لأن (مَنْ) غير التناجي.

والمتأمِّل في هذه الآية يرى أنَّ استخدام الاستثناء المنقطع (مَنْ) في هذا الموضع لفظ عام، لا يَهُمُّ من هو؟! ولا ما جنسه؟! ولا ما منزلته؟! المهم من ذلك أمره بأوجه الخير المذكورة.

لما كان تعدد النجوى المستحبة (مَنْ أمر بصدقةٍ أو معروف أو إصلاح بين متخاصمين من الناس) مناسبًا مجيء الاستثناء بـ(مَنْ)، فلا يلائم هذا المعنى غيره، والله أعلم.

ويظهر -كذلك- عند ذكره سبحانه: ﴿كثيرٍ من نجواهم﴾، المناسب لهذا الكثير الاسم الموصول (إلا مَنْ) لدلالته على العموم لكل من قام بتلك الخلال الكريمة. وإذا كان التعبير بـ(لا خير) يفيد العموم المطلق الناتج عن النكرة في سياق النفي، والتعبير بـ (إلا من) يفيد العموم المقيد بحيز تلك الخلال، تبين انسجام النسق البنائي التركيبي لسياق الآية الكريمة، ومجيئه على الأصل المعهود، وهو كون ما قبل أداة الاستثناء أوسع وأشمل مما بعدها.

(6) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (352/1)، النحاس، معاني القرآن - (981/2).

(7) العكبري أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن (983/1).

(8) المصدر نفسه.

كما أنَّ في الآية مساواة (لا خيرَ في كثيرٍ من نجْواهم) يطابق في المعنى (ولكن من أمر بصدقةٍ، ففي نجواه الخير).

وقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، جاء بمعمول الفعل أمر (صدقةٍ، ومعروفٍ، وإصلاحٍ) منكَّرًا؛ لمناسبة تنكير المستثنى منه (كثير) في قوله: ﴿في كثيرٍ من نجواهم﴾.

وصلة المستثنى (مَنْ أَمَرَ)، جملة فعلية تدل على التجدد والحدوث، فالفعل(أَمَرَ)- وإن كان ماضيًا في اللفظ – فهو في سياق الآية لا يدل على الثبات الملازم للفعل الماضي الناتج عن الانقطاع عادة، بل هو – والله أعلم- يحمل دلالة المضارع الدال على التجدد والتكرار؛ لأن المقام مقام تشريع، وحثٍّ على هذه الأمور.

﴿إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَو مَعرُوفٍ﴾، «وخُصّا بالذكر اهتمامًا بهما، إذْ هما عظيما الغناء في مصالح العباد»[9]. والأمر نفسه في الإصلاح بين الناس.

وفي استعمال الفعل (أمر) سوى غيره، نحو: (عمل، باشر، قام بـ....) توسيع لدائرة الخير، وبيان رحمة الله؛ فلم يشترط المولى – سبحانه- قيامهم بهذه الأشياء بأنفسهم؛ بل اكتفى منهم بحسنِ نواياهم، ودعوتهم الآخرين للخير، وحتى لا يتعلل بعدها متعلل بفقره وعدم قدرته.

ويظهر في تنكير (صدقة)، الإشارة إلى جواز الأمر بالصدقات المتنوعة، سواءً أكانت مالية، أم عينية، أم مساعدة الناس، أم حث على التبسُّم، وعدم الاكفهرار، وانبساط الوجه، وفي تنكير (معروف) دلالة على العموم، شمول لدائرة المعروف.

(2-1) قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:148].

الفعل (ظُلِمَ، مبني لما لم يُسمَّ فاعله، على وزن فُعِلَ، وأصله ظَلَمَ على وزن فَعَلَ):

للنحاة في الاستثناء في قوله: (إلا من ظُلِمَ) قولان:

١- إنه استثناء متصل، وعلى هذا ففيه ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أنه من باب حذف المضاف على تقدير: إلا جهر من ظُلِم، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه[10].

الثاني: في محل رفع على البدلية من فاعل المصدر الذي هو الجهر، والمعنى: لا يحب أنَّ يجهر أحد بالسوء

(9) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 211).

(10) درويش، إعراب القرآن وبيانه (2/ 663).

من القول إلا المظلوم[11].

الثالث: المصدر هاهنا أقيم مقام الفاعل، والتقدير: لا يحب الله المجاهر بالسوء إلا من ظُلِم[12].

2-إن هذا الاستثناء منقطع، والمعنى لا يُحِبُّ الله الجهر بالسُّوء من القول، لكن المظلوم له أنَّ يجهر بظلامته[13].

ناسبت (مَنَ) السياق دون (الذي)؛ لأنَّها تستعمل فيما هو عام غير محدد، بخلاف(الذي)، فهي تستعمل في المعرفة والأمر المعيَّن، فكُلُّ من اتَّصف بالمظلومية جاز له ذلك.

في الآية (إلا منْ ظُلِم) إيجاز حذف – دلَّ عليه سياق الجملة – فتقدير المحذوف: إلا من ظُلِمَ، فيجوز له الجهر بظلمه، والدعاء على الظالم، وأنْ يشكوَه.

الاحتراس في قوله: (إلا من ظُلِم)، و «فِي هَذَا الْإِذْنِ تَوْسِعَةٌ عَلَى مَنْ لَا يَمْسِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ لِحَاقِ الظُّلْمِ بِهِ[14].

ويظهر من الآية نفي لحب الجهر في بدايتها، وإثبات له في الاستثناء، وهذا أسلوب حصر وقصر، يدلُّ على فداحة الظلم، وشناعته.

ناسب قوله: ﴿إلا مَنْ ظُلِمَ﴾، لفظة (الجهر) في قوله: ﴿لا يحبُّ الله الجهر بالسوء من القول﴾؛ فالظاءٌ مجهور مفخَّمٌ مطبَق؛ فيه معنى الجهر، فناسب اللفظ المعنى.

ذِكْرُ(الجهر، القول) للدلالة على جواز رفع الصوت بالمظلمة من قبل المظلوم أمام من ظلمه؛ حيثُ أفادت الكلمتان ذلك المعنى (جَهَرَ بالقول: رفَعَ به صوتَه) [15].

يظهر من دلالة المصدرين (الجهر، القول) على الثبات والدوام. بأنَّه كلما حدث ظلم جاز للمظلوم الجهر بالسوء من القول في الظالم، بغير تعدٍ؛ لأنه سبحانه قال بعدها: (وكان الله سميعًا عليمًا).

حذف نائب الفاعل في (ظُلِمَ)، وعدم ذكره له دلالة على تحقير الظالم، وتشنيع فعلته في المظلوم، فكأنه لا يستحق الذكر لسوء فعله.

الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ هُوَ فَاعِلُ الْمَصْدَرِ الْمُقَدَّرِ الْوَاقِعِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، في تقدير: لَا يُحب اللَّهُ جَهْرَ أَحدٍ بِالسُّوءِ؛

(11) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (2/ 621).
(12) الرازي، مفاتيح الغيب (11/ 352).
(13) المصدر السابق (452/11).
(14) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (6/ 6).
(15) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (816/2).

يفيد العموم)[16].

ولما كان الحديث في سياق الأقوال المنهي عنها: (الجهر بالسوء من الأقوال)، والأقوال المسموح بها: (إلا من كان مظلومًا)، ناسب اختتام الآية وتذييلها بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾؛ فالله مطَّلع على الجهر بالسوء من القول، فهو سبحانه سَمِيْعٌ للقول عَلِيمٌ بِمَا يُضْمر.

(3-1) قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحِجر17: - 18].

الفعل (استرق على وزن افتعل، من الفعل سَرَقَ، الألف والتاء زائدة):

استرق السمع: «مأخوذ من الاختطاف، وهو الاستلاب بسرعة، ومنه سُمِّيَ الخطاف[17].

صِيغَ وزن الافتعال للتكلُّف. وَمَعْنَى اسْتِرَاقِهِ الِاسْتِمَاعَ بِخِفْيَةٍ مِنَ الْمُتَحَدِّثِ، كَأَنَّ الْمُسْتَمِعَ يَسْرِقُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ كَلَامَهُ الَّذِي يُخْفِيهِ عَنْهُ[18].

والاسترَاق افتعال، والمسترِق: المستمع مختفيًا، والسمع بمعنى المسموع[19].

يقول المطرِّزي: «(سَرَقَ) مِنْهُ مَالًا، وَسَرَقَهُ مَالًا سَرَقًا وَسَرِقَةً، إذَا أَخَذَهُ فِي خَفَاءٍ أَوْ حِيلَةٍ، وَفَتْحُ الرَّاءِ فِي السَّرِقِ لُغَةٌ»[20].

يقول الطبري: «وحفظنا السماء الدنيا من كلّ شيطانٍ لعينٍ قد رجمه الله ولعنه ﴿إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾؛ يقول: لكن قد يسترق من الشياطين السمع مِمَّا يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه، إمَّا بإخباله وإفساده، أو بإحراقه» [21].

(إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) للنُّحاة في هذا الاستثناء: « ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: نَصْبٌ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، أي: ولكن من استرق السمع. فَأَتْبَعَهُ، فتبعه ولحقه[22].

وَالثَّانِي: رَفْعٌ عَلَى الِابْتِدَاءِ. وَ(فَأَتْبَعَهُ): الْخَبَرُ، وَجَازَ دُخُولُ الْفَاءِ فِيهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ (مَنْ) بِمَعْنَى الَّذِي، أَوْ شَرْطٌ»[23].

(16) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (6/6).
(17) الماوردى، النكت والعيون (93/5).
(18) ابن عاشور، التحرير والتنوير- (13/41).
(19) الإستانبولي، روح البيان (583/6).
(20) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب (3 /93).
(21) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (71/ 77).
(22) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (01/01).
(23) العكبري، التبيان في إعراب القرآن (2/ 877).

وَالثَّالِثُ: إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ بدل من كل شيطان جَرٌّ عَلَى الْبَدَلِ أَيْ: إِلَّا مِمَّنِ اسْتَرَقَ[24].

الرابع: الاستثناء متصلٌ، أي: إلا ممن استرق السمع، والمعنى: حفظنا السماء من الشياطين أنَّ تسمع شيئًا من الوحي، وغيره، إلا من استرق السمع فإنا لم نحفظها منه[25].

فالاستثناء متصل في القول الثالث والرابع، ومنقطع في القول الأول والثاني وهو الظاهر؛ لأن الجملة استئنافية، فلا تقدير فيها ولا تعسُّف، والله أعلم.

أفاد حرف العطف (فـ) معنى الترتيب والتعقيب في قوله (فأتبعه)، فمن يفعل هذه المعصية (استراق السمع) يُرجم بالشهب مباشرة، فعقابها معجل، بلا مَهَل.

وفي استعمال الفعل (استرق)، الذي على وزن (افتعل) معنى مبالغة في التكلف في التخفي لاسترق السمع.

واستعمال لفظة (من) دون غيرها، كـ (الذي أو ما)، للدلالة على صفة من يفعل ذلك، وأنَّه سيكون عاقلًا من الجن، ولا مانع أنَّ يكون من الإنس، ولا يتأتَّى لغيرهما، كالأقمار الصناعية أو الأجهزة الإلكترونية، لدلالة استعمال (مَنْ) على ذلك، والله أعلم.

(4-1) قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلى جَهَنَّمَ وِرْدًا(86) لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدًا (87)﴾[مريم: 86- 87].

الفعل(اتخذ، أَخَذَ: فَعَلَ):

مَعْنَى الأَخْذِ، والتَّخْذِ واحدٌ، وَهُوَ حَوْزُ الشيْءِ وتَحْصِيلُه[26].

(إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عند الرحمن...) للنحاة في هذا الاستثناء ثلاثة تقديرات:

1و2- يقول النَّحاس: فيه تقديران: «أحدهما: أنَّ يكون (مَنْ) في موضع رفع البدل من الواو، أي: لا يملك الشفاعة إلا من اتّخذ....، والتقدير الآخر: أنَّ يكون (مَنْ) في موضع نصب استثناء ليس من الأول. والمعنى: لكن من اتّخذ عند الرحمن عهدًا بأنّه يشفع له»[27].

3- يقول الفراء: «ولا تكون خفضًا بضمير اللام، ولكنها تكون نصبًا عَلَى معنى الخفض.... لا يملكون الشفاعة إلا لمن اتّخذ عند الرحمن عهدًا»[28].

(24) المصدر نفسه.

(25) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (01/01).

(26) الفيروز أبادي، تاج العروس (073/9).

(27) النحاس، إعراب القرآن (91/3).

(28) ومعنى ذلك: كما تقُولُ فِي الكلام: أردت المرور اليوم إلا العدوّ، فإني لا أمُرّ بِهِ فتستثنيه من المعنى، ولو أظهرت الباء، فقلت: أردت المرور إلا

على التقدير الأول والثالث فالاستثناء متصل، وعلى الثاني فالاستثناء منقطع، وهو الأقرب إلى الصحة، ويكون المعنى: «لَكِنْ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ، أَيْ: بِتَمْلِيكِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ وَإِذْنِهِ لَهُمْ ...»[29].

والألف واللام في (الشفاعة) عهدية، لمعلومية ماهيتها عند المخاطب، وفي ذلك دلالة على أهميتها، وعلو شأنها.

والفعل: (اتَّخَذَ) على وزن افتَعَل من (أَخَذَ)، لكنه يتضمن إعدادًا من المتَّخِذ، وليس ذلك في (أَخَذَ)، وهذا المعنى يناسب ما بعده، وهو (العهد)، فالعهد يحتاج إلى إعداد.

واختيار لفظ المستثنى (مَنْ) في قوله: ﴿إلا مَنِ اتَّخَذَ﴾ دالٌ على الإبهام، فيدخل فيه إمَّا المؤمنون، وإما الأنبياء، وإما الملائكة، وإما جميعهم، ولا مانع من أنَّ يكون جميعهم؛ لورود الأدلة بذلك.

الفعل (أخذ)، متعدٍ لمفعول واحدٍ، بينما (اتخذ) متعدٍ لمفعولين، وفي ذلك دلالة على أنَّ الاتخاذ بوساطة، فالذي يملك الشفاعة، يملكها بوساطة العهد، فكان الفعل (اتخذ)، مؤديًا للمعنى، مناسبًا في الموضع، مرتبطًا بتركيب الجملة، لا يمكن للفعل (أخذ) أنَّ يحلّ محله.

الفعل (لا يملكون) مضارع، و(اتخذ) ماض، فالمضارع حكاية عن موقف العرض، والآخر حكاية عن الزمن الماضي، فاتخاذ العهد – بوصفه العمل الصالح– كان في الدنيا، فناسب معه زمن المضي.

﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾، اختيار صفة الرحمن دون غيرها، لما فيه من ترجٍ لسرعة الفصل في ذلك اليوم العظيم، وعدم القنوط، والتفاؤل برحمة الله تعالى في ساعة القيامة.

ويمكن أنَّ يكون في الاستثناء السابق من حيث تركيبه، وترابط أجزائه، نفي لِمْلك الشفاعة من قبل المجرمين، وقصرها على المؤمنين أصحاب الأعمال الصالحات.

(5-1) قال تعالى: ﴿قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:55].

الفعل (شاء، على وزن فَعَل):

(إِلاَّ مَنْ شاء)، للنُّحاة في تقدير الاستثناء أربعة أقوال:

1- يقول النحاس: «مَنْ في موضع نصب استثناء ليس من الأول. والتقدير: لكن من شاء أنَّ ينفق ابتغاء مرضاة الله ليتّخذ إلى ثواب ربّه طريقًا فليفعل[30].

بالعدو لخفضت. الفراء، معاني القرآن (271/2).

(29) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 515).

(30) النحاس، إعراب القرآن (411/3).

2- «فيه ضمير تقديره: قل ما أسألكم عليه من أجر إلّا أنه من شاء أنَّ يتخذ إلى ربه سبيلا فليتخذه»[31].

3- في الكلام حذف مضاف يناسب أجرًا، ويكون التقدير: إلا عمل من شاء أنَّ يتخذ إلى ربه سبيلًا، وذلك هو اتباع دين الإسلام[32].

وكل ما سبق من قبيل الاستثناء المنقطع، لمخالفة المستثنى المستثنى منه.

4- يقول الزمخشري: إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالطَّاعَةِ، وَصّورَ ذَلِكَ بِصورةِ الأَجرِ مِنْ حَيْث إِنَّه مَقْصُود الْحُصولِ. فيكون الاستثناء متصل ادِّعاءً[33].

والظاهر أنَّ الاستثناء منقطع، في كل تقديرٍ. والمعنى: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، فلا أطلب من أموالكم جُعْلًا لنفسي، لكن من شاء أنَّ ينفق أمواله في سبيل الله، ولوجهه خالصًا، فليفعل فإني لا أمنعه عنه[34].

التعبير بقوله: (مَن شَاءَ) إشارة إلى أنَّ الثواب لَا يكون إلا بالإرادة الحُرَّة المختارة، إذ هي أساس التكليف[35].

جاء بالفعل الماضي (شاء) في قوله: (من شاء أنَّ يتخذ) مع أنَّ السياق المقصود بالمضارع المستقبل يشاء؛ لأن المشيئة تسبق الاتخاذ، فالمشيئة قلبية، والاتخاذ عمل.

الاستثناء في قوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ تأكيد لنفي أنَّ يكون يسألهم أجرًا؛ فهو من باب تأكيد الشيء بما يشبه ضده؛ لأنه استثناء من أحوال عامة محذوف ما يدل عليها لقصد التعميم، والاستثناء معيار العموم؛ فلذلك كثر في كلام العرب أنَّ يجعل تأكيد الفعل في صورة الاستثناء[36].

وأرى أنَّ في الاستثناء المنقطع ﴿إلا من شاء أنَّ يتخذ إلى ربه سبيلا﴾، حثٌّ لمن يصلح له الخطاب بأن يتخذ طريق هداية الله؛ بوساطة فِعْلِ الخيرات، والتقرب بالطاعات إليه سبحانه وتعالى.

(6-1) قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ (88) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾ [الشعراء: 88- 89].

الفعل (أتى، على وزن فَعَلَ):

(31) أبو عبيدة، مجاز القرآن (2/ 87).
(32) الزمخشري، الكشاف (3/ 882).
(33) الزمخشري، الكشاف (3/ 882).
(34) الإستانبولي، روح البيان (6/ 332).
(35) أبو زهرة، زهرة التفاسير (4035/01).
(36) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (85/91).

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بقلب سليم﴾، للنُّحاة في تقدير الاستثناء في هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول: الاستثناء منقطع- كما عند الزمخشري- بتقدير: لَكِنْ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ يَنْفَعُهُ سَلَامَةُ قَلْبِهِ، أو يكون بتقدير مضاف وهو الحال، (إلا حال من أتى الله...)، والمراد به سلامة القلب، وليست هي من جنس المال والبنين، فلا ينفع المال والبنون، وإنما ينفع سلامة القلب، وعلى كلا التقديرين فهو منقطع[37].

الثاني: فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بَدَل مِنَ الْمَحْذُوفِ، أَوِ اسْتِثْنَاءٌ مِنْهُ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَتَى. وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَالَ إِذَا صُرِفَ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْبَنِينَ الصَّالِحِينَ يَنْتَفِعُ بِهِمْ مِنْ نُسِبَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى صَلَاحِهِمْ[38].

الثالث: فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْبَدَلِ، إما مِنْ: فَاعِلِ (يَنْفَعُ)، وَغَلَّبَ مَنْ يَعْقِلُ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: إِلَّا مَالُ مَنْ...، أَوْ بَنُو مَنْ...؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُ نَفْسَهُ أَوْ غَيْرَهُ بِالشَّفَاعَةِ[39].

أو جَعْلُ المال والبنين في معنى (الغنى)، كأنه قيل: يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم؛ لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أنَّ غناه في دنياه بماله وبنيه[40].

3- جَعْلُ (مَنْ) مفعولًا لينفع، أي: لا ينفع مال ولا بنون، إلا رجلًا سلم قلبه مع ماله؛ حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيثُ أرشدهم إلى الدين، وعلمهم الشرائع. ويجوز على هذا إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ من فتنة المال والبنين[41].

فعلى القول الأول فالاستثناء ظاهر الانقطاع، ويوافقه السِّياق، فسلامة القلب ليست من جنس المال والبنين، وأما الأقوال الأخرى، فلها تقديرات، مما يجعل الاستثناء متصلًا، بوساطتها، وما ليس فيه تقدير أولى مما فيه تقدير.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾: استعمال الفعل (أتى) بصيغة الماضي، مع أنَّ السياق للمستقبل، لتحقق ذلك اليوم، فلاشك فيه ولاريب.

استعمال معمول الفعل (أتى) الذي هو لفظ الجلالة (الله) لمعلومية أنه سيأتي الخلق إليه سبحانه وتعالى وحده لا إلى غيره ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾.

(37) الزمخشري، الكشاف (023/3).
(38) العكبري، التبيان في إعراب القرآن (2/ 899).
(39) المصدر نفسه.
(40) الرازي، مفاتيح الغيب (715/42).
(41) انظر الزمخشري، الكشاف (023/3 - 123).

الجار والمجرور في قوله: (بقلبٍ سليم) متعلق بفاعل (أتى)، في محل رفع نعت، وفيه بيان أهمية سلامة القلب، وأنَّه لا ينفع المال والبنون في ذلك اليوم، لكن وجود القلب السليم هو النافع.

جاء (سليم) على وزن (فعيل)، صيغة مبالغة من اسم الفاعل، معناه سالم من الكفر والشرك والنفاق، وهذا يدل على سلامة القلب.

وفي ذلك دلالة على أهمية كل من: ذلك اليوم (يوم القيامة)، والقلب السليم، والإيمان الخالص.

وفي الاستثناء إيجاز حذف، أغنى عن جمل كثيرة، دلت عليها التقديرات السابقة.

فدلالة الاستثناء المنقطع ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ على أنَّ العبرة بالإيمان وصالح الأعمال، لا بكثرة المال والبنين.

كما يدل على «البون الشاسع بين سلامة القلب من الشرك والنفاق، وبين زينة الحياة الدنيا المتمثلة في المال والبنين»[42].

(7-1) قال تعالى: ﴿إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11)﴾ [النمل: 10- 11].

الفعل (ظَلَمَ، على وزن فَعَل):

﴿إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ﴾ للنُّحاة في تقدير الاستثناء أقوال:

1- (إلاّ) هنا بمعنى (لكن)، والمستثنى منه (المرسلون). و المعنى: لكن من ظلم من غير الأنبياء فإنَّه يخاف، فإن تاب وبدل حسنًا بعد سوءٍ فإنِّي غفور رحيم[43].

2- الاستثناء من محذوف، تقديره: أيْ: لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم إلا من ظلم ثم بدَّل حسنًا... قاله الفراء إلخ[44].

3- إلا من ظلم، وإن كنت قد غفرت له كآدم وداود وموسى، ولا مانع من الخوف بعد المغفرة، فإنَّ نبينا ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول: «وددت أني شجرة تعضد»[45]. يكون الاستثناء على التقدير الأول والثاني منقطعًا؛ لأن (من ظلم)، لا يدخل في جنس المرسلين.

وعلى التقدير الثالث، فالاستثناء متصل، ويُحْمَلُ الظلم على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل.

والظاهر أنَّ الاستثناء منقطع، يقول أبو حيان: «والأظهر أنَّ قوله: (إِلَّا مَنْ ظُلِمَ): استثناء منقطع؛ إذ

(42) د. حمودة وليد إبراهيم، الاستثناء المنقطع المدخل إلى بلاغته، ص2351.

(43) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (3/ 833)

(44) الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (883/02).

(45) المصدر نفسه.

الأنبياء معصومون من وقوع الظلم والواقع من غيرهم»[46].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ(10) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ﴾، تعريض موسى بوكزه القبطي.

في الآية دلالة على أنَّ من رجع وأناب، فإنَّ الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا ثُمَّ اهْتَدى(82)﴾ [طه:82].

(مَنْ) لفظ مشترك أفاد العموم، يصح في حقِّ أيِّ إنسان، ومنهم الأنبياء كما سبق.

و(ظَلَم...) فعل ماضٍ، حذف معمولاها للدلالة على أنَّ أيَّ ظلم وقع فيه أيَّ شخص، فإنَّ الله يغفره بشرط التوبة والإنابة والاستقامة، ولذا قال: ﴿ثُمَّ بدَّل حُسنًا بعدَ سوءٍ فإني غفورٌ رحيم﴾.

المرسلون لا يخافون، والذي أفاد ذلك لفظ (مُرْسَل)، الذي هو اسم مفعول- للدلالة على صفة من وقعَ عليه فعل الفاعل- فقد وقعت الرسالة عليهم من الله، فتحملوها، فلا يخافون؛ لأن الله هو من أرسلهم، وكذلك لفظ: (لدي)، فمن كان الله معه فلا يخاف.

في قوله: (إلا من ظلم ثم بدل حسنًا) إيجاز حذف دلَّت عليه التأويلات السابقة.

أفاد إضافة لفظة (لدى) إلى ياء المتكلم في قوله: ﴿لا يَخافُ لدَيَّ المرسلون﴾: تشريفًا وتعظيمًا، وأنَّ المؤهَّل لحمل رسالة الله تعالى لا يخافُ أبدًا.

(8-1) قال تعالى: ﴿وَما أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (37)﴾ [سبأ: 37].

الفعل(آمن، أصله أَمَنَ):

(إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحًا) للنُّحاة في الاستثناء في هذه الآية قولان:

١- الاستثناء منقطع، في حالات:

أ - إذا كانت (إلا) بمعنى (لكن)؛ والخطاب للكفار، و(من آمن) ليس منتظمًا في سلكهم و(مَنْ) مستثنى، والتقدير: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى، لكن مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فإيمانه وعمله يقربانه، أو: ولكن من آمن وعمل صالحًا، فأولئك لهم جزاء الضعف[47].

ب- إذا كان المستثنى من مفعول (تقرِّبُكم) والخطاب للكفرة، كما هو ظاهر السِّياق، وليس المؤمنون من جنس الكفرة»[48].

(46) أبو حيان، البحر المحيط (8/ 412).

(47) درويش، إعراب القرآن وبيانه (8/ 201).

(48) الاستثناء المنقطع، المدخل إلى بلاغته، ص6351.

ج- إذا جعل المستثنى من (وما أموالكم ولا أولادكم)؛ لاختلاف الجنس، وذلك على حذف مضاف، أي: إلا أموال من آمن وعمل صالحًا وأولادهم(49).

د- إذا كانت (مَنْ) شرطيه، وجملة: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ جواب الشرط، واقترن بالفاء؛ لأنه جملة اسمية. وهذا تحقيق لمعنى الاستثناء المنقطع، وتفسير للآية بدون تكلُّف ولا تردد في النظم(50). فمعنى الآية بعد إعرابها: ليست أموالكم ولا أولادكم تقربكم عندنا، لكن الذي آمن وعمل صالحًا، فإيمانه وعمله الصالح يقربه عندنا زلفى.

فأصبح كأن المستثنى المنقطع (إلا مَنْ)، جملة مستأنفة ابتدائية جديدة، معناها ليس متعلقًا بالجملة قبلها.

2- الاستثناء متصل، والخطاب للمؤمنين، و (إلا من آمن): مستثنى من الكاف في (تُقربكم).

والأقرب في الاستثناء أنَّ يكون منقطعًا، فما بعد (إلا) ليس من جنس ما قبلها، وقد دل السياق على خطاب الكافرين.

ذكره الاسم الموصول المشترك (مَنْ) حتى يشمل كل من يصلح له.

اختياره لفظ الاسم الموصول، الذي يدل على العموم، وجملة الصلة (من آمن)، حيث لم يذكر فاعلها، على سبيل الإيجاز والاختصار.

في جملة ﴿إلا من آمن وعمل صالحًا﴾، صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وهي جملة فعلية تفيد الحدوث والتَّجدُّد، وكذلك الإيمان يحتاج إلى تجديد دائمًا.

آمن، أصله: أأمن، ووزنه: أَفْعَلَ، فالأولى مزيدة، والثانية أصلية؛ لأنه من الأمن، ثم قُلِبَتِ الأصلية ألفًا، وإنما انقلبتْ ألفًا؛ لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح؛ فلما كان معنى (آمن)؛ ناسب في المعنى (زُلْفى)، وزلفى: القربة، فلا تكون القربة إلا بأمن.

﴿إلا مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالحًا﴾: عطف الفعل على الفعل، من باب ذكرِ الخاص(عَمِلَ) بعد العام (آمَن)، لأهمية العمل الصَّالح بعد الإيمان.

وفي عمومية الاستثناء المنقطع كناية عن التقوى مبالغةً من حيث إنهَّ جعل مال المؤمن الصالح وولده نفس التقوى. ثم إنَ تقريب أموال المؤمن الصالح، بإنفاقها فيما يرضي الله تعالى، وتقريب الأولاد؛ بتعليمهم الخير، وتفقيههم في الدين، وترشيحهم للصلاح والطاعة(51).

(49) الآلوسي، روح المعاني (11/ 323).
(50) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (22/ 612).
(51) الآلوسي، روح المعاني (11/ 323).

المبحث الثاني:

دلالة المستثنى المنقطع بـ(مَنْ) في القرآن الكريم الذي جملة صلته على وزن (فَعِل).

وهذا النوع هو أقل من سابقه في مادة هذا البحث، حيث تصل أفعال جملة صلته إلى ستة أفعال، وهي على الترتيب: (رَحِمَ في آيتين، اتَّبَعَ، شَهِدَ، ارْتَضَى، تَوَلّى).

(1-2) قال تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(٤٣)﴾ [هود:43].

الفعل (رَحِمَ، على وزن فَعِلَ):

(إِلَّا مَن رَّحِمَ) للنُّحاة في الاستثناء في هذه الآية ثلاثة أقوال[52]:

1- باعتبار المستثنى منه (لا عاصم) على حقيقته، فالاستثناء (إلا من رحم) فيه وجهان:

أ- الاستثناء منقطع، أَيْ: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم.

ب- متصل، و(مَنْ رَحِمَ) بِمَعْنَى الرَّاحِمِ أَيْ: لَا عَاصِمَ إِلَّا اللَّهُ.

2- باعتبار المستثنى منه (لا عاصم) بِمَعْنَى مَعْصُومٍ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلًا أَيْ: إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ.

3- باعتبار أَنَّ عَاصِمًا بِمعنى ذَا عصْمَةٍ عَلَى النَّسَبِ، مِثْلَ حَائِضٍ وَطَالِقٍ، وَالِاسْتِثْنَاءُ عَلَى هَذَا مُتَّصِلٌ أَيْضًا.

وعلى كل حال، فالظاهر أنّ الاستثناء منقطع، لكن من رحمه الله فهو المعصوم، إذ لا يحتاج إلى تأويل ولا تقدير.

قوله: ﴿لا عاصمَ اليومَ منْ أمرِ اللهِ إلا منْ رَحِم﴾: «نفي لجنس العاصم المنتظم لنفي جميع أفراده ذاتًا وصفةً، للمبالغة في نفي كون الجبل عاصمًا، وزاد الْيَوْمَ للتنبيه على أنَّه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع، وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص منها بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية[53].

قوله: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ) تفخيمًا لشأنه الجليل جلَّ شأنه، وإشعارًا بعلية رحمته بموجب سبقها غضبه»[54].

واستعمال الاسم الموصول المشترك (مَنْ)، أنسبَ ما يكون للفظ (عاصم)، لجواز أنَّ يكون معنى (عاصم) بمعنى مانع، أو (عاصم) بمعنى معصوم.

(52) انظر العكبري، التبيان في إعراب القرآن (007/2).

(53) الألوسي، روح المعاني (852/6).

(54) المصدر نفسه.

وذكر الفعل (رَحِمَ)، بدون ذكر فاعله، يشمل ما حقه أنَّ يدخل في معناه، إلا من رحم الله، وهو الإنسان، إلا الراحم، وهو (الله) عز وجل يرحمُ من عصمَهُ من الغَرَق.

﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾، تفخيمًا لشأنه الجليلِ بالإبهام، ثمَّ التفسيرِ وبالإجمال، ثم التفصيل، وإشعارًا بعلّية رحمتِه في ذلك بموجب سبقِها على غضبه، وكلُّ ذلك لكمال عنايته ﷺ بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنِه ببيان شأنِ الداهيةِ، وقطعِ أطماعِه الفارغةِ، وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئًا وإرشادِه إلى العياذ بالمِعاذ الحقِّ عزَّ حِماهُ، ...[55].

﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾: اللفظ (رَحِمَ) على وزن فعل، ناسب الحال، فالحال حال هلاك، لا يناسبه إلا هذه الرحمة. وكأن المقام كذلك مقام دعاء. فالهلاك حاصل إذْ إنَّ سُبُل النَّجاة قد بذلت، فكأنَّه يقول: اللهم ارحمنا، ونجنا من هذا الهلاك(الغرق).

يُوحِي لفظُ (رَحِمَ)، بالخضوع والتذلّل والعطف، وهذا يناسب مقام المتَكَلِّم، والحال وقتئذ. كما يُوحي بتقدير المتكلِّم بمآلات الحال ﴿لا عاصمَ اليومَ منْ أمرِ اللهِ إلا منْ رَحِم﴾. [هود:43].

(إلا من رحم)، إيجاز حذف جملة على كلِّ تقدير، فكان في هذا أبلغ من الذّكر؛ لأنّ النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذُكِر ما حذف لقصر على الوجه الذي تضمّنه البيان.

في عموم الاستثناء دلالة على تيئيس من يظن أنَّ تكون النجاة عند غير الله.

«ودلَّ هذا اللفظ باختصاره وجلالته وفصاحته علي نفي كل عاصم سواه، وعلى نفي كل معصوم سوى من رحمة الله، فدل الاستثناء على أمرين: على المعصوم من هو، وعلى العاصم، وهو ذو الرحمة، وهذا من أبلغ الكلام وأفصحه وأوجزه»[56].

(2-2) قال تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ [هود: 118- 119].

الفعل (رَحِمَ، على وزن فَعِلَ):

الاستثناء منقطع، من الواو في (يزالون)، و(إلا) بمعنى (لكن)، وتقديره: لَكِنْ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، فإنه غير مختلف، والقول منسوب للزجاج[57]. ولم يرد عن النحاة غير هذا القول.

قوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ جاء بصيغة المضارع (يزالون)، فيه إشارة إلى أنَّ الاختلاف سنةُ الله في خلقه

(55) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (112/4).

(56) ابن القيم، بدائع الفوائد (3/ 76- 86).

(57) الزجاج، إعراب القرآن وبيانه (4/ 644)، درويش، إعراب القرآن وبيانه (644/4).

إلى أنْ تقوم الساعة، ولن يتوقف عند جيل معين أو مكان محدد.

وعبَّر للاختلاف بصيغة اسم الفاعل (مختلفين)، وليس يختلفون، فدلالة اسم الفاعل أدوم وأثبت من الفعل، وهو يناسب سنة الله التي خلق عباده لذلك، فقد قال بعدها: (ولذلك خلقهم)، وكأنَّ من حكمته سبحانه خلقَ عبادِهِ لابتلاء الاختلاف والاتفاق، فناسب مجيء اسم الفاعل (مختلفين) معنى السياق.

جاء الاسم الموصول المشترك (مَنْ) مستثنى منقطع، للدلالة على أنَّ من رحمه فوقاه من الاختلاف، لا يَخُصُّ ذكورًا دون إناث، ولا مجتمعًا دون آخر، وإنما يشمل الجميع.

جاءت جملة صلة الموصول (مَنْ) بصيغة الماضي (رَحِمَ ربك)، ولم يقلْ (يرحم) مع أنَّ سياق الخبر يمضي في الاستمرار والتتابع، للدلالة على أنَّ غير المختلفين قد كتب الله عليهم ذلك من قبلُ (في اللوح المحفوظ).

وفي إضافة الرَّب إلى ضمير المخاطب (رحِم ربُّك)، للدلالة على قلَّة من لم يختلف.

وفيه تشريف للنبي ﷺ، ولكلِ من لم يقعْ في هذا الاختلاف المذموم، وأنّهَ مرحوم من الله تعالى.

(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) في الآية تضاد بين الاختلاف والرحمة، مما يزيد المعنى وضوحًا وتأكيدًا.

و يظهر من التضاد السابق أنَّ المقصود: الاختلاف المذموم، وهو الاختلاف في الأديان والاعتقادات.

(3-2) قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾ [الحجر: 42].

الفعل (اتّبَعَ، أصله تَبِعَ، على وزن: فَعِلَ):

الغيّ: الضلال والخيبة. غوى، بالفتح، غيًّا وغوِيَ غواية؛ الأخيرة عن أبي عبيد: ضلَّ. ورجل غاوٍ وغوٍ وغوي وغيان: ضال[58].

احتدم الخلاف بين النُّحاة والمفسرين في الاستثناء من قوله تعالى: (إلا من اتبعك من الغاوين)، على قولين لا ثالث لهما:

1- الاستثناء متصل، والمستثنى منه (عبادي)، والمراد بهم جميع المملوكين، ولو جُعل منقطعًا لكان استثناء من الأقل، وهذا خلاف الأصل[59].

٢- الاستثناء منقطع، والمراد بـ(عبادي) الموحدون، ومتَّبع الشيطان غير موحد[60]. وأيّد ذلك ابن هشام، فقال: «قَول كثير من النَّحْوِيين فِي قَوْله تَعَالَى: (إن عبَادي لَيْسَ لَك عَلَيْهِم سُلْطَان إِلَّا من اتبعك)

(58) ابن منظور، لسان العرب (041/51).

(59) درويش، إعراب القرآن وبيانه (042/5).

(60) المصدر نفسه.

إِنَّه دَلِيل على جَوَاز اسْتِثْنَاء الْأَكْثَر من الْأَقَل، وَالصَّوَاب أَن المرَاد بالعباد المخلصون لَا عُمُوم المملوكين وَأَن الِاسْتِثْنَاء مُنْقَطع بِدَلِيل سقُوطه فِي آيَة سُبْحَانَ: (إن عبَادي لَيْسَ لَك عَلَيْهِم سُلْطَان وَكفى بِرَبِّك وَكيلا)»[61].

والمعنى: إنَّ عبادي المخلصين ليس لك عليهم حجة أو قدرة إلاَّ الذين اتَّبَعُوك من الغاوين فسلطانك عليهم.

وما يظهر للباحث أنَّ الاستثناء منقطع، فمن اتبع الشيطان ليس من جملة عباد الله، وفي اللغة يصح الاستثناء من الأقل على الصحيح.

قوله تعالى: (إنَّ عبادي) إضافة العباد إلى الله سبحانه وتعالى إضافة تشريف، فلا سلطان لإبليس عليهم، لأنهم عباد الله، ومن كان كذلك، فالله يحميه ويحرسه، فلا سلطان للشيطان عليه.

في قوله تعالى: ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾، دلالة على أنَّ اتباع الشيطان هم الغاوون، والغاوي هو الضال. الغَيُّ: الضلال والخيبة أيضًا.

قوله: ﴿إلا من اتبَّعك من الغاوين﴾، (مَنْ) من ألفاظ العموم، ولما كان الطائعون لله قليلٌ، والعاصون لهُ كثيرٌ، كما قال تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)، جاء استخدام الاسم الموصول (مَنْ) المستثنى المنقطع، مناسباً لذلك.

اتَّبع: افْتعل، يقُول أَبُو عُبَيْدَة: تبِعتُ الرجل إِذا مشيت مَعَه، واتبعته إِذا مشيت خَلفه لتلحقه[62]. فيَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الِاتِّبَاعَ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ، لَا مِنْ قِبَلِ إِلْجَاءِ الشَّيْطَانِ إِلَى ذَلِكَ[63].

و(اتبَّعك) بتشديد التَّاء دلالة على أنَّ المتمسكين بالشيطان التابعين لسبيله مصرون على ذلك، لا يمكن فكاكهم عنه، فقلَّما يهتدي منهم من اهتدى، نسأل الله الهداية لنا جميعًا!

و(مِنْ) في (من الْغَاوِينَ) لِبَيَانِ الْجِنْسِ، أَيْ: الَّذِينَ هُمُ الْغَاوُونَ.

والغاويين: اسم فاعل جمع غاوٍ من الفعل غوي، واسم الفاعل يفيد الحدوث والثبوت – كما بيَّن ذلك علماء الصرف – وفيه دلالة أنَّ من يتبع الشيطان أنَّ تكون صفة الغواية ملازمة له، وأنَّها متجددة ومتزايدة فيه بأنواع شتى من طرق الغواية ووسائلها.

(61) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (977).
(62) ابن دريد، جمهرة اللغة (452/1).
(63) الرازي، مفاتيح الغيب (52/ 9).

(4-2) قال تعالى: ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٨٦)﴾ [الزُّخرُف:86].

الفعل (شَهِد على وزن فَعِلَ):

المستثنى منه الاسم الموصول (الذين)، وعليه مدار تحديد الاستثناء، وذلك على قولين:

١- الاستثناء متصلٌ باعتبارين:

أ- الاسم الموصول (الذين) عام في كل ما يعبد من دون الله، والمعنى: ولا يملك المعبودون من دون الله- تعالى- الشفاعة لأحد من الناس، إلا من شهد بالحق منهم، وأخلص العبادة لله- تعالى- وحده، كعيسى ابن مريم، وعزير، والملائكة، فهؤلاء يملكونها(64).

ب- على حَذْفِ مفعولِ، تقديرُه: ولا يملك الذين يَدْعُون مِنْ دونه الشفاعةَ في أحدٍ إلاَّ فيمَنْ شَهِدَ(65).

2- الاستثناء منقطع، باعتبار أنَّ (الذين) خاص بالأصنام، أي: ولا تملك الأصنام الشفاعة لأحد، لكن من شهد بالحق وبوحدانية الله كعيسى ابن مريم وغيره، فإنه يملكها بإذن الله تعالى (66).

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، فيه دلالة عَلَى مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا:

أَنَّ الشَّفَاعَةَ بِالْحَقِّ غَيْرُ نَافِعَةٍ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ، وأنَّ التقليد لَا يُغْنِي مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِصِحَّةِ الْمَقَالَةِ. وَالثَّانِي: أَنَّ شَرْطَ سَائِرِ الشَّهَادَاتِ فِي الْحُقُوقِ وَغَيْرِهَا أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ عَالِمًا بِهَا(67).

الفعل(شهد) مأخوذ من الشهادة، والشَهادة: خبرٌ قاطع. تقول منه: شَهِد الرجل على كذا، المشاهدة: المعاينة. وشهده شُهودًا: أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ(68).

وفيه أنَّ الذي يملك الشهادة من رأى الحق رأي المعاينة فكأنه حضره، ولا يتأتَّى ذلك إلا للأنبياء والملائكة عليهم السلام.

(مَنْ) دلالتها على العموم لا على الخصوص كما سبق، فناسبت الموضع، إذ يدخل فيها الأنبياء والملائكة، بخلاف غيرها.

(بالحق) متعلق بـ(شهد) في محل نصب حال، فيه بيان لحال الشاهد، وهو حال كونه بالحق، وفي ذلك تزكية من الله تعالى لشهادته.

(64) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط (701/31).
(65) سراج الدين، اللباب في علوم الكتاب (71/ 103)
(66) طنطاوي، التفسير الوسيط (701/31).
(67) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (321/61).
(68) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (494/2).

(2-5) قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن: 26-27].

الفعل (ارتضى أصله رَضِيَ، على وزن فَعِلَ):

(إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ) للنَّحاة في الاستثناء في هذه الآية أقوال:

1- الاستثناء(منْ ارتضى) منقطع، ويكون على تقديرين:

الأول: (إلا من ارتضى)، أي: لكن من ارتضاه، فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه بالوحي[69].

الثاني: أو لكن من ارتضاه من الرسل، فإنَّه يجعل له ملائكة رصدًا يحفظونه، باعتبار أنّ (مَنْ)، شرطية، أو موصولة، مضمنة معنى الشرط، و: (فإنَّهُ)، خبر المبتدأ على القولين[70].

2- الاستثناء متصل، باعتبار (من) بدلًا من (أحد)، أي: إلّا رسولًا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلّقة برسالته[71].

والقريب إلى المعنى أنَّ يكون الاستثناء منقطعًا، لدلالة سياق الآية عليه بدون تكلف.

﴿إلا من ارتضى﴾، فـ(مَنْ)- كما هو شأنُّها- تستعمل للعموم العاقل، فتشمل الرسول من البشر والملائكة، فكان مناسبًا لسياق الآية.

﴿إلا من ارتضى﴾، ارتضى: على وزن افتعل، مبالغة في الرضا، فلا يطَّلع على غيبه سبحانه أحد إلا من اكتمل رضا الله عنه. وفيه دلالة على التشريف والتكريم والرضا التَّام للرسول المرتضى.

وعبَّر عن ذلك بقوله: ﴿إلا من ارتضى﴾ للإشعار بأنَّه – سبحانه وتعالى- يخُصُّ هؤلاء الذين رضي عنهم ورضوا عنه؛ بالاطلاع على بعض غيوبه، على سبيل التأييد والتكريم لهم. و(من رسولٍ) نكرة تشمل كل رسولٍ اختاره الله لرسالته، سواءً أكان من البشر أم من الملائكة.

والضمير في قوله تعالى: (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ) يعودان على الله- عز وجل- وأطلق السلك على إيصال الخبر إلى الرسول المرتضى، للإشعار بأن هذا الخبر الذي أطلع الله- تعالى- رسوله عليه، قد وصل إليه وصولًا مؤكدًا، ومحفوظا من كل تحريف، كما يدخل الشيء في الشيء دخولا تاما بقوة وضبط، إذ حقيقة السلك: إدخال الشيء في الشيء بشدة وعناية ... [72].

(69) درويش، إعراب القرآن وبيانه (152/01).

(70) النعماني، اللباب في علوم الكتاب (344/91).

(71) الهرري، حدائق الروح والريحان(033/03).

(72) طنطاوي، التفسير الوسيط (51/ 541).

قال القرطبي: قال العلماء: لما تمدَّحَ سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضى من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة على نبوتهم[73].

(2-6) قال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(22) إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ (24)﴾ [الغاشية: 22-24].

الفعل (تولَّى، أصله وَلِيَ على وزن فَعِلَ):

للنُّحاة قولان في الاستثناء في هذه الآية، وقد ذكرهما أبو حيان في تفسيره[74]:

١- الاستثناء متصل، باعتبار المستثنى إما من:

- الهاء في (عَلَيْهِمْ)، وَالْمَعْنَى: لست بمسلَّطٍ إلا على من تولى وكفر، فأنت مسلَّط عليه بالجهاد، والله يعذبه بعد ذلك العذاب الأكبر، وقد ذكر هذا القول القرطبي.

- أو من مفعول (ذَكِّرْ) المحذوفة تقديره (ذكرهم)، وَالْمَعْنَى: أَيْ: فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه، وتولى فاستحق العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض[75].

2- الاستثناء منقطع من الهاء في (عليهم)، أي: لكن من تولَّى عن الوعظ والتذكير (فيعذبه الله العذاب الأكبر)، وهي جهنم الدائم عذابها[76].

وبما أنّ الاستثناء منقطع، و(إلا) بمعنى (لكن)، فيجوز أنَّ تكون (مَنْ) الموصولة مبتدأً، والخبر ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾، والفاء رابطة الخبر بالمبتدأ [77].

ويظهر للباحث أنَّ الاستثناء منقطع، لدلالة السياق عليه؛ إذْ إنَّ الجملة مستأنفة (لكن من تولَّى وكفر.... ما جزاؤه؟ فيعذِّبُه الله.....).

حَذْفُ معمولي (تولي وكفر) في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وكفر﴾ حذفُ إيجاز؛ لأنه معلوم التَّولي من ماذا؟ والكفر بماذا؟ فأغنى حذفهما عن ذكرهما.

الفعل (تولى) على وزن (تفعَّل)، وأصله الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم، ثم استعمل في الإعراض

(73) القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن (963/41).
(74) أبو حيان، البحر المحيط (664/01).
(75) المصدر نفسه.
(76) المصدر نفسه.
(77) درويش، إعراب القرآن وبيانه (064/01).

عن الأمور والأديان والمعتقدات اتساعًا ومجازًا[78]، دلالة على المبالغة في الإعراض بجميع الحواس عن سماع الموعظة والتذكير.

اللفظان (مسيْطر)، و(تولَّى) بينهما تضاد من حيث المعنى. فالسيطرة: التحكّم والتسلّط والتمكّن. والتولّي: الإعراض والإدبار، زاد تأكيد المعنى وتقويته. كما أنَّ لفظة (مسيطر) كناية عن صفة التسلط، زادت المعنى شمولًا.

وبين آية المستثنى منه (لست عليهم بمسيطر)، وآية المستثنى (إلا من تولى وكفر)، مساواة في اللفظ تقريبًا، أعطت التركيب البنيوي القرآني جمالًا.

ولعل في توافق أواخر الآيتين السابقتين في حرف الراء (مسيطر) (كفر)، إعطاء للنسق القرآني تنغيمًا صوتيًا، يظهر معنى الترهيب والتحذير ويؤكده.

وفي انقطاع الاستثناء دلالة على أنَّ من تولى وكَفَرَ مستحقٌ للعذاب الأكبر بغض النظر عن صفته، أو جنسه، أولونه، أو طبقته، دلَّت عليه (منْ).

الخاتمة:

وختامًا فإنَّ البحث يخلص إلى أهم النتائج والتوصيات في هذه الدراسة:

أولًا: أهم النتائج: وتتمثل في الآتي :

– الاستثناء المنقطع هو ما كان المستثنى ليس من المستثنى منه ولامن جنسه. وتأتي فيه (إلا) بمعنى (لكنْ)، فيفيد الاستدراك، لا التخصيص. بينما المتصل ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه، ويفيد التخصيص.

– (إلا) في الاستثناء المنقطع تكون بمعنى (لكن)، عند البصريين، و(سِوى) على مذهب الكوفيين، غيرَ أنَّ النحاة فسروها بالمذهب الأول وأغفلوا الثاني، مراعاةً للمعنى.

– أكثر جمل صلة الموصول (مَنْ) جمل فعلية أغلبها أفعال ماضية تتوزع ما بين فَعَلَ، وفَعِل.

– (مَنْ) في هذا الباب تأتي اسمًا موصولًا مشتركًا مبهمًا، وتأتي شرطية، تدلُّ دائمًا على العموم.

– يأتي الاستثناء المنقطع بـ(من) الآيات موضوع الدراسة بعد نفي، مما يؤكد عموم منْ.

– جملة صلة (مَنْ) في أغلب الأحوال– عندما تكون مستثنى منقطعًا– تكون محذوفة المعمول.

– (مَنْ) المستثنى قد تأتي مبتدأً– وهي موصولة – خبرُه مقترنٌ بفاء واقعةً جواب شرط.

– جمل صلة الموصول للمستثنى المنقطع جمل فعلية تدلُّ على التجدد والحدوث.

(78) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (834/1).

– لكل فعلٍ من أفعال صلة الموصول للمستثنى (مَنْ) دلالة خاصة به، تُفْهَم من (سياق الكلام، والتركيب، ومعنى النص)، كما تدل عليه بنيته، وكل ذلك مثبت في الدراسة.

ثانيًا: أهم التوصيات:

يُوصِي الباحث بجملة من التوصيات من شأنَّها أنْ تعزز موضوع الدراسة أهمها:

1. مواصلة الدراسة الدلالية للاستثناء المنقطع في القرآن الكريم ببقية الاسم الموصول، سواء المشترك كـ (ما)، أو المختص، كـ(الذي)، أو بغيرهما.

2. دراسة مالم يدرس من دلالات الأساليب النحوية في القرآن الكريم، استخراجًا لكنوزه، وروائع بيانه؛ لما في ذلك من تدبُّر لكتاب الله تعالى.

ومن هذا المنطلق نأمل أنَّ تسهم هذه الدراسة في إثراء المكتبة العربيّة، وأن تكون منطلقًا لأبحاث ودراسات جديدة.

وأخيرًا فهذه الدراسة بتوفيق من الله وعون، فإن أصبت؛ فمنه سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فمن الشيطان، ومن نفسي: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:76].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه وسلم.

قائمة المراجع:

1. ابن دريد، أبو بكر محمد (1987م)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1.

2. ابن عاشور، محمد الطاهر(1984هـ)، التحرير والتنوير المسمَّى(تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس.

3. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق (1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

4. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

5. ابن منظور، محمد بن مكرم(1414هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3.

6. أبو زهرة. محمد بن أحمد بن مصطفى. زهرة التفاسير. دار الفكر العربي.

7. أثير الدين الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (1420هـ) البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.

8. أحمد بن محمد، أبو جعفر النحاس، (1409هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط1.

9. الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، دار الفكر، بيروت.

10. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله(1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

11. الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد(1419هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

12. الإيجي، محمد بن عبد الرحمن (1424هـ – 2004م)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1.

13. البغوي، أبو محمد الحسين (1417هـ – 1997م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4.

14. التيمي، أبو عبيدة معمر بن المثنى(1381هـ) مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزين، مكتبة الخانجي – القاهرة.

15. الخازن، علاء الدين علي بن محمد(1415هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

16. د. حمودة وليد إبراهيم، الاستثناء المنقطع المدخل إلى بلاغته، بحث مقدم إلى مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، بايتاي البارود.

17. درويش، محيي الدين (1415هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، ط4.

18. الرازي، أبو عبد الله محمد(1420هـ) مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3.

19. الزجاج، إبراهيم بن السري(1408هـ – 1988م)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط1.

20. الزمخشري، أبو القاسم محمود(1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب

العربي – بيروت، ط3.

21. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر(1408هـ – 1988م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3.

22. الشنقيطي، محمد الأمين، (1415هـ – 1995م) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان.

23. شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ (1421هـ/2001م)، الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد112.

24. الشوكاني، محمد بن علي بن محم (1414هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1.

25. الطبري، محمد بن جرير، (1420هـ – 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1.

26. طنطاوي، محمد سيد، (1997– 199م)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1.

27. العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيت الأفكار الدولية.

28. الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم (1414هـ – 1993م)، جامع الدروس العربية.

29. الفارابي، أبو نصر إسماعيل(1407هـ– 1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4.

30. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1.

31. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

32. القاسمي، محمد جمال الدين(1418هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط1.

33. القرافي، شهاب الدين أحمد، الاستغناء في الاستثناء، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت.

34. القرطبي، أبو عبد الله محمد(1384هـ - 1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2.

35. القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3.

36. القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان (1412هـ - 1992م)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت.

37. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

38. محمد بن مصطفى، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

39. المرادي، أبو محمد بدر الدين(1413هـ - 1992م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1.

40. المطَرِّزِيّ، ناصر بن عبد السيد، المغرّب في ترتيب المعرّب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

41. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (1419 هـ - 1998م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1.

42. النعماني، أبو حفص سراج الدين، (1419هـ - 1998م) اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، ط1.

43. الهرري، محمد الأمين (1421هـ - 2001م) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1.